اليساروية الغربية المعاصرة

ان احتكار الماركسية اللينينية للفكر الراديكالية بوصفها المعبر الفكري والشرعي للطبقة العاملة لم يكن يعني بعدم وجود منتظمات فكرية صاحبت ظهورها وربما سبقته ، وقد وقفت كل هذه المنتظمات اما الى يمين الماركسية او الى يسارها ، فالاشتراكية الديمقراطية والنزعة العمالية والنزعة التخطيطية كانت تمثل اليمين ، والحركات الفوضوية كانت الى اليسار ، غير ان جميعها حلت بعد ثورة عام ١٩١٧ ، فقد شاع في الاوساط الفكرية بان كل فكر يقف بالضد من الثورة الروسية يعد من المعادين للحركة الثورية العمالية واداة من ادواة البرجوازية .

تعريف اليساروية واسباب ظهورها :

ساد في بادئ الامر تعريف لليساروية بانها نظرية المجتمع الحالي ومجتمع المستقبل والغبور من احدهما الى الاخر .اذ يمثل المجتمع الحالي مجتمع الدولة البرجوازية الراسمالية الذي فقد فيه العمال اي مركز مؤثر في القرار ، اما مجتمع المستقبل فانه مجتمع المساواة والعدالة الاجتماعية الذي يحقق اقصى الاستفادة مما حققه مجتمع الوفرة والرفاه ، وبتحليل هذا التعريف نجد ان عملية التغيير تنشد في بعدها الاجتماعي غاية اليساروية وعدم الاقتصار على الوضع الاقتصادي ، ومنه ايظا تتضح واقعية المنهج اليساروي ، فالمجتمع الليبرالي الديمقراطي قد حصن نفسه من كل ما يمكن ان يستغل ضده وحقق درجات عالية من التقدم حتى على صعيد وضع العمال ، اذ ليس من الممكن تقويض هذا التطور والمكتسبات التي حصل عليها العمال بالنظرة الثورية الماركسية القديمة وانما لابد من وجود طرق جديدة تقوم بعملية التغيير من المجتمع الحالي الى المجتمع المنشود مستقبلا ، ومن اهم ما يسجل على هذا التعريف بانه عد اليساروية المعاصرة نظرية ، في حين ان البعد النظري لم يزل غامض الملامح بحيث يصعب ان نطلق عليها نظرية ، فلكل شريحة من العمال في الدول الاوربية الراسمالية طريقة للعبور ،وهذا ينقلنا الى التعريف الثاني لليساروية ، اذ وصفت بانها (تلك الشريحة من الحركة الثورية التي تقدم او تسعى الى تقديم نفسها كبديل جذري للماركسية اللينينية بوصفها حركة الطبقة العاملة وتطورها) وعلى الرغم من الماخذ التي توجد على هذا التعريف الا انه اقرب الى الهدف الحقيقي لليساروية الغربية المعاصرة .

لقد كانت وراء ظهور اليساروية الغربية مجموعة من العوامل لعل اهمها :-

١- هيمنة الاحزاب والنقابات العمالية التي سعت الى مهمة مزدوجة تجمع بين الاصلاح للاوضاع وتقديم ايديولوجية نقدية للجماهير العمالية وفشلها في تحقيق ذلك على الصعيد الاوربي.
٢- تحول الطبقة العمالية الى جماعات ضغط بكل الخصائص التي تحملها جماعة الضغط في القيادة البيروقراطية والتسلسل الهرمي والاستبداد السلطوي مما ابدل السعي لتحويل وسائل الانتاج من الطبقة الراسمالية الى قيادات عمالية ابتعدت عن جماهيرها .
٣- التفاوت الكبير بين الحاجات الخاصة للاحزاب والنقابات العمالية والحاجات العامة للطبقة العمالية .
٤- عجز الشيوعية في المجتمع الراسمالي عن تقديم حلول بديلة وجذرية واكتفائها بالتنظير الذي سرعان ما نقضته .
٥- سعي العمال الى تحديد اهداف نضالهم بانفسهم وبشكل خاص من خلال صياغتهم لمجتمع الغد القائم على اشتراكية اصيلة قائمة على استقلال القرارات واللامركزية والادارة الذاتية .
٦- التحول الكبير والمنظور بالثورة الروسية من ثورة لنصرة الطبقة العاملة وتحريرها الى ديكتاتورية الدولة وقياداتها ، فالثورة الروسية عملت على تغيير عناصر التسلط والاستبداد من الطبقة البرجوازية الى القيادات العمالية ، وهو ما بدا واضحا ابان حكم ستالين للاتحاد السوفيتي – السابق – .
٧- السعي لتزويد الطبقة العمالية بمشروع واقعي يخرج عن الاخطاء التي وقعت بها الماركسية ويمهد الى خلق مجتمع المساواة والعدالة .

المشروع الفكري لليساروية :-

ان اليساروية المعاصرة واتساعها على الصعيد الاوربي جاء نتيجة للنظرة التي اتسمت بها والتي عبرت عن واقعية خصوصا بعد التحولات في اوربا وعوامل التطور التي صاحبت الفكر الليبرالي الذي لم تعد معه امكانية التغيير وفقا للبيان الشيوعي او توجهات التراث الفكري الماركسي بكل اتجاهاته ، وهذا ما لمسناه من النقد الذي وجهته مدرسة فراكفورت للنظرية الماركسية الا ان ما

يميز اليساروية عن المدرسة هو انها لم تذهب الى النتيجة التي توصلت اليها المدرسة بعدم التعويل على الطبقة العمالية في مسعى التغيير ، بل ان اليساروية ظلت مؤمنة بان هذه الطبقة هي المحرك الاساس للتغيير اذ بدونها تبقى الاحتجاجات فوضوية لا توصل الى نتيجة وهذا ما اثبتته احتجاجات الطلبة في فرنسا عام ١٩٦٨ ، اذ اعطت الاضرابات التي نفذها العمال زخما هاما لنجاح هذه الاحتجاجات ، فما هو المشروع الفكري الذي تقدمه اليساروية ؟

ان اليساروية تمثل نقدا وممارسة ونظرية :-

١- انها نقد : دأبت اليساروية على توجيه عملية النقد للفكر الماركسي ، فهي تؤكد على ان ماركس كان منظرا للبرجوازية من جهة ، وان اللينينية اسلوب من اساليب السيطرة على السلطة من جهة اخرى ، اذ حلت الثورة الروسية راسمالية الدولة وهيمنتها الطبقية محل الراسمالية ، وان هيمنة الدولة كانت اكثر اتقانا وتركزا ، ولم تتردد اليساروية من اعتبار الشيوعية والاشتراكية ليس مجرد انحراف عن نموذج مثالي بقدر كونهما مؤسستين راسماليتين تميلان الى تدمير المجتمع الراسمالي لجعله اكثر فعالية وتزويده بسلطة اكثر مركزية ، وهنا تبدو اليساروية بوصفها ممارسة ثورية في كل مكان يكسر فيه الصراع الطبقي الاطار الذي تقيمه التنظيمات التقليدية ليتجه هذا الصراع ضد القيادات العمالية التقليدية من خلال الاضرابات وهو ما ينقلنا الى كون اليساروية ممارسة .

٢- انها ممارسة : ان الاضرابات في نظر اليساروية ممارسة ترتكز على تحليل تاريخي جديد ومظاهرة عمالية واسعة ضد التنظيمات الخاصة للقيادات العمالية التي انحرفت عن اهداف العامة وباتت تسعى لاهدافها الخاصة ، اذ تسعى اليساروية الى اضفاء البعد التنظيمي للاحتجاجات والاضرابات وتنسيقها ، فقد استطاع النظام الراسمالي الامساك بزمام التناقضات التي تعتريه وتعلم كيفية اطالة امد وجوده وضمان استمراره واستقراره ، وبذلك لن تكون نهاية الراسمالية ممكنة الا كنتيجة لصراع دائم وواع ضد النظام الراسمالي والمعارضة الثورية التقليديةفي الوقت نفسه ، ان اليساروية في مفهومها الثوري اوسع مدى اذ يتجاوز والى حد بعيد مفهوم المعركة لالغاء نظام العمالة واتساعها لتكون ثورة على جميع الجبهات لازالة كل اشكال الاغتراب مما يقضي بتعدد المراحل الزمنية القادرة على تحقيق هذا الهدف .

٣- اما كونها نظرية وعلى الرغم من التحفظات التي يصحب هذا التوصيف لصعوبة اعطاء بعدا نظريا واحدا عليها الا ان ما عرف بالموقفيون وهم جماعات يسارية منتشرة في اوربا تاسست ولها مجلة فكرية تسعى الى احداث التغيير في المجتمع الليبرالي اخذوا ينظرون لليساروية المعاصرة من دون ان نلمس تاثير لهم ، الا ان ذلك لا يعني انها مجردة من كل بعد نظري فالنقد بحد ذاته يحتاج الى نظرية نقدية فكرية ، والممارسة بدون تنظيم تنظيري سيكون فوضويا ليس له هدف محدد .